عـودة القـدس

إعـــداد

فضيلة الأستاذ الدكتور

متولـــي يوســـف شـــلبي

(رءوف شلـــبي)

وكيل الأزهر الأسبق

(ت ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م)

إشـــــراف

أ.د / محيـي الدين عفيفي أحمـد

الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية

بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة المصرية العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

شلبي، متولى يوسف
عودة القدس
الأزهر الشريف ـ مجمع البحوث الإسلامية
١ـ تسامح إسلامي فريد
٢ـ الحروب الصليبية
٣ـ عودة القدس
٧٤ص، ٢٠سم
العنوان: مجمع البحوث الإسلامية ـ القاهرة

رقم الإيداع: ٢٩٢٧٠/ ٢٠١٧
الترقيم الدولى: ٣-٢٦٥-٢٠٥-٩٧٧-٩٧٨

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تصدير

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن دعا بدعائه واهتدى بهداه .. أما بعد،،،

فلقد كان الأزهر الشريف على مر تاريخه - ولا يزال - الحارس الأمين على الإسلام؛ عقيدةً وشريعةً وأخلاقًا، يؤدي رسالته، ويتحمل مسئوليته في المحافظة على الدين وتراثه وعلومه الشرعية والعربية وغيرها، حتى صار كعبة العلوم الدينية والعربية والثقافية في مصر والعالم، ومركز إشعاع روحي وديني وثقافي، ينشر مباديء وأخلاق الإسلام، ويوضح المنهج النبوي في مواقف الحياة المتنوعة بعيدًا عن التعصب الأعمى، أو الاضطهاد الفكري أو المادي، مراعيًا لظروف الناس وحاجاتهم، وكتب الله له القبول فتهيأت له النفوس على مدار عقود وقرون طويلة، فأصبح الجامعة الإسلامية الكبرى الفريدة في العالم بتاريخها وأهدافها ورسالتها ومنهجها ووسطيتها.

إن الأزهر الشريف يضطلع بمسئولياته ويواصل مسيرته العلمية في بيان حقائق الإسلام بمنهج وسطي معتدل يحترم التعددية الدينية والمذهبية والفكرية، ويعمل على تصحيح المفاهيم المغلوطة، لأجل حماية العقول من الغلو والتطرف والتسيب.

وانطلاقًا من هذه المسئولية كان الدور العظيم لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الأستاذ الدكتور/ أحمد الطيب في النهوض بالتبعات الملقاة على عاتق الأزهر الشريف في الداخل والخارج، ببيان حقائق الإسلام ومواجهة التطرف والإرهاب، وأهمية المجابهة الفكرية وبيان جهود الأزهر الشريف وجميع هيئاته حيث أكدّ فضيلته: أن الأزهر الشريف قد عاش أكثر من ألف عام ـ وسيظل ـ يُدرِّس المذاهب الفقهية، والمسائل الكلامية على افتراقها، والعلوم الإسلامية بمختلف أذواقها ومشاربها، لكن الأزهر قد وجد ضالته ـ منذ القدم ـ في مذهب أهل السنة والجماعة، واتخذه طوق نجاة للمسلمين كلما عضّتهم نوائب التشرذم وآفات التعصب المقيت لمذهب يراه أصحابه: هو الإسلام الذي لا إسلام غيره .. وسبيل الأزهر اليوم هو سبيله بالأمس: السعي الحثيث لجمع كلمة المسلمين، ووقوفهم صفًا واحدًا في مهب العواصف والتيارات.

إن الأزهر الشريف الذي يرفع راية «جمع الكلمة» بين المسلمين، لا يتردد في مقاومة موجات الإلحاد، والتغريب، والإفساد الأخلاقي، ولا يدخر جهدًا في مقاومة الانحراف التكفيري الطارئ، والمرفوض من جماهير الأمة الإسلامية قديمًا وحديثًا، وليس أمامه ـ من أجل تحقيق هذا الهدف ـ إلا مواصلة السعي ـ بصدق ـ لجمع علماء المسلمين على كلمة واحدة، لمواجهة الأخطار التي تهدد الجميع، ولتحقيق مصالح الأمة، ودرء المفاسد عنها، ومن دون هذا الالتقاء،

فإن النتائج لن تكون على النحو الذي نرجوه لأمتنا، وتقتضيه مصلحتها في هذه الظروف التي يمر بها العالم الآن[1].

هذا، وتتعاظم آمال وطموحات الناس حول الأزهر الشريف يومًا بعد يوم، وتتعالى صيحات النداء والفزع إليه ـ بعد الله تعالى – باعتباره الملاذ الآمن للمسلمين في العالم من الانحراف الفكري، والتطرف والإرهاب ، وقد عمل الأزهر الشريف على تلبية هذه النداءات وتحقيق الطموحات، وذلك بكل هيئاته ودواوينه ودوائره العلمية والمعرفية، ومنها: مجمع البحوث الإسلامية، الذي أسهم بجهود عظيمة في العطاء العلمي للأزهر الشريف من خلال دراسة القضايا العلمية المختلفة، إيمانًا منه بدوره العلمي في تصحيح المفاهيم الخاطئة، وبيان وسطية وسماحة الإسلام، وأهمية التيسير ورفع الحرج عن الناس.

إن ما قدمه مجمع البحوث الإسلامية ويقدمه في هذا الصدد ليؤكد جهوده الدؤبة في خدمة الحياة العلمية والعملية للمسلمين؛ في التنظيم، والتشريع، والثقافة، والحضارة، والاجتماع، والسلوك، والأحوال الشخصية، والمعاملات، وما إلى ذلك مما يدخل في صميم الحياة ومتطلباتها.

---

(١) كلمة الإمام الأكبر شيخ الأزهر أ.د/ أحمد محمد الطيب، في افتتاح مؤتمر خطورة الفكر التكفيري والفتوى بدون علم، ١٤٣٥هـ ـ ٢٠١٤م ـ المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.

إن مجمع البحوث الإسلامية وهو يؤدي دوره باعتباره هيئة علمية وبحثية وثقافية ومعرفية بالأزهر الشريف، لا ينفصم عن واقع الناس والمشكلات والتحديات التي تحيط بهم، وظهور أنماط من السلوك وألوان من المعاملات تتطلب ضرورة بيان الرأي والشرعي والديني لها؛ حتى لا ينخدع الناس بالسيىء منها، أو ينساقوا وراء الفكر المنحرف والفتاوى الشاذة التي تعاني منها مجتمعاتنا في ظل انتشار التطرف والإرهاب.

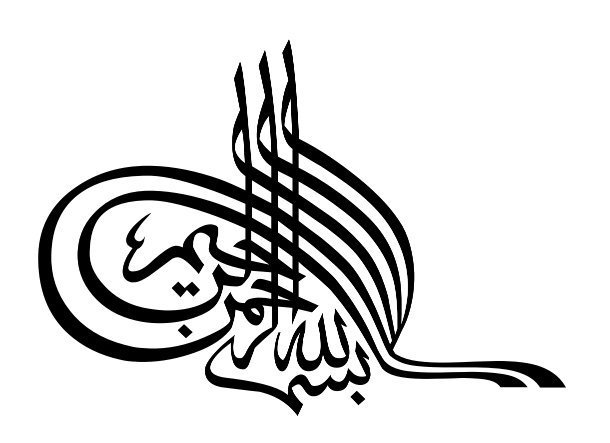
ومن المؤلم غاية الألم أن ترتكب جرائم باسم الإسلام وباسم شريعته السمحاء، وتُنفذ العمليات المدمرة مع صيحات التهليل والتكبير، ودعوى الجهاد والاستشهاد في سبيل الله، الأمر الذي استغله الإعلام الغربي أسوأ استغلال في تشويه صورة الإسلام، وتقديمه للعالم بحسبانه دينًا همجيًا متعطشًا لسفك الدماء وقتل الأبرياء، وأنه يحرض أبنائه وأتباعه على العنف والكراهية والأحقاد، وللأزهر موقف واضح في هذه القضايا قام بإعلانه وبيانه كأشد ما يكون البيان وضوحًا وجلاءً.

وانطلاقًا من دور المجمع ومسئولياته العلمية؛ فقد قام بإعادة طبع مجموعة من الكتب العلمية النافعة، والتي تتنوع موضوعاتها، وتلبي عددًا من احتياجات المرحلة الراهنة، حيث تشتمل هذه الكتب على قضايا ومسائل تتصل بالعقيدة، والشريعة، والأخلاق، والتفسير، وعلوم السنة النبوية، والثقافة الإسلامية في مجالاتها المختلفة؛ ليكون

الناس على بينة من أمرهم فيما يتعلق بالأمور الدينية والاجتماعية والأخلاقية، خاصة في ظل تراجع منظومة القيم الأخلاقية، وانتشار موجات التطرف والإرهاب والتكفير والإلحاد والتسيب والإنحلال، مما يستلزم معالجة هذه المسائل من خلال الفكر الوسطي الذي يعمل الأزهر الشريف على ترسيخه.

نسأل الله تعالى القبول، وأن يكون العمل خالصًا لوجهه تعالى، إنه نعم المولى ونعم النصير.

الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية
أ.د/ محيي الدين عفيفي أحمد



عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ:

«لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقَاتِلَ الْمُسْلِمُونَ الْيَهُودَ، فَيَقْتُلُهُمُ الْمُسْلِمُونَ حَتَّى يَخْتَبِئَ الْيَهُودِيُّ مِنْ وَرَاءِ الْحَجَرِ وَالشَّجَرِ، فَيَقُولُ الْحَجَرُ أَوِ الشَّجَرُ: يَا مُسْلِمُ يَا عَبْدَ اللهِ هَذَا يَهُودِيٌّ خَلْفِي، فَتَعَالَ فَاقْتُلْهُ، إِلَّا الْغَرْقَدَ، فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرِ الْيَهُودِ»[1].

(١) رواه مسلم، ٤/ ٢٢٣٩، حديث (٢٩٢٢).



تحتل جغرافية فلسطين حيزًا فسيحًا في صفحات التاريخ القديم والحديث على السواء، وأحداث تاريخ فلسطين تترحلها تقلبات الزمن منذ القدم وهي هي صراع المواريث الدينية في أغلفة من التعبيرات الحضارية أو السياسية أو ما يشاكل ذلك.

وجغرافية فلسطين قديمة، ووجود مدينة القدس قديم كذلك، والمعارك تدور من كل جانب ويفلح في إحراز النصر من كان صادقًا مع الله، وصادقًا مع دينه، وصادقًا مع معركته، وصادقًا مع أهدافه.

لقد تقلبت الأحوال بهذه المنطقة وأهلها من قبل الميلاد ومن بعده، وتأرجحت البلاد بين العديد من الغالبين بالقهر العسكري والسطو المسلح، وفي كل مرة تسقط البلاد والمدن على يد غاصب أو دخيل، تعود مرة أخرى ثم تسقط ثم تعود... فكم اختلفت على القدس وما يجاورها جيوش وجنسيات وديانات قديمة أو مستحدثة حتى آل أمرها إلى ما نراه اليوم من الهون والضعف، والحيرة والعجز فهل ستعود القدس وفلسطينها من جديد...؟ وإلى من تعود؟ ومتى؟

إن هذه الأسئلة الثلاثة:

- هل ستعود القدس وفلسطينها من جديد؟
- وإلى مَنْ تعود؟
- ومتى تعود؟

هي محور الحديث في هذه الليلة، وهو حديث قادم من أعماق التاريخ السحيق ليثبت أن اليهود ليسوا أهل فلسطين، وليسوا أهل القدس...

لقد سكن الكنعانيون أرض فلسطين وهم العنصر الثاني من الجنس السامي الذي سكن منطقة الشام: الآموريين ثم الكنعانيين، ومن هذا الجنس كان الآراميون ثم جاء العبرانيون فهم آخر الأجناس صلة بفلسطين.

- فالآموريون: هم أول شعب سامي بحث عن موطن له في بلاد الشام وأقام فيها قبل الميلاد بنحو ٢٢٥٠ ق.م فأسسوا دولة في منطقة الفرات ثم أخذوا بالتدريج يظهرون في لبنان، وفلسطين.
- والكنعانيون: هم الجماعة التي لعبت دورًا هامًا في منطقة الشام وهم مع الآموريين ينتسبون إلى موجة واحدة من الهجرة إلى هذه الديار ولذلك انعدم الاختلاف العرقي بينهم.

ولقد أُطلق لفظ (كنعان) على الساحل وغربي فلسطين أولاً، ثم شمل الاسم الجغرافي المتعارف عليه الآن بفلسطين، بالإضافة إلى قسم كبير من سورية[(١)] على نحو ما فصَّله الدكتور فيليب حتى.

---

(١) راجع كتاب: تاريخ سورية ولبنان وفلسطين للدكتور فيليب حتى ترجمة دكتور جورج حداد- طبع دار الثقافة بيروت ص ٧٠ وما بعدها وص ٨٥ وما بعدها.

فالكنعانيون: عرب من العرب من سكان الجزيرة العربية كما ذهب إلى ذلك الطبري وابن خلدون والمستر جيمس هنري بريستد، هاجروا من الجزيرة العربية إلى البلاد الخصبة كغيرهم من أنواع الجنس السامي الذين اضطروا إلى ترك صحاريهم لعديد من المؤثرات والأحداث والأسباب.

والكنعانيون هم الذين أسسوا مدينة القدس وأطلقوا عليها اسمًا بلغتهم هو «يورو سالم» وتعني في اعتقادهم مدينة الإله، وكان أهل هذه المدينة يعتقدون في وحدانية الإله.

وإذن فلا غرو أن تستقبل أرض كنعان أو أرض فلسطين نبي الله إبراهيم عليه السلام الذي أمره الله بنشر عقيدة التوحيد وتحطيم الأصنام، وكان دخول سيدنا إبراهيم عليه السلام أرض كنعان هو أول دخول للعبرانيين الذين عبروا النهر إلى أرض كنعان أو أرض فلسطين، يقول الكاتبون لمقدمة انجيل متى: «نشأ الجد الأول لليهود وهو أبو الأنبياء إبراهيم في مدينة (أور) التي كانت تقع جنوبي مدينة بابل... وكانت مدينة (أور) مركزًا لعبادة الوثنية في حين كان إبراهيم يؤمن بوجود الله الواحد، ولا يتعبد إلاَّ لَهُ؛ ومن ثم كان هدفًا للاضطهاد من جانب الوثنيين، فرحل مع أسرته إلى مدينة أخرى تُدعى (حاران) ثم لما مات أبوه نزح مع قومه إلى أرض كنعان المعروفة اليوم بأرض فلسطين»[1].

(١) انجيل متى المقدمة ص ١٤ طبع دار المعارف بمصر.

فهذا اعتراف صريح بأن العبرانيين لم يكونوا أصلاً في هذه الديار، وإنما هم وافدون عليها وبها سكان أصليون لهم فيها قدم وعيش وحضارة، ولم يستقر سيدنا إبراهيم عليه السلام في أرض كنعان فرحل إلى مصر ثم عاد ثانية إلى أرض كنعان واستقر في أرض تسمى (حبرون)، ثم ورثه إسحق عليه السلام وأنجب يعقوب عليه السلام، ولم يشأ الله أن يستقر المقام بسيدنا يعقوب في أرض كنعان بل رحل إلى مصر في قصة تمر أحداثها بكثير من الآلام والمتاعب يسببها له أولاده، لكراهيتهم لأخيهم يوسف عليه السلام وتجبرهم على أبيهم النبي وعدم احترامهم لمشاعره، ثم يصابون بالقحط ويبحثون عن الميرة في مصر، إذ تولى يوسف عليه السلام أمر وزارتها بعد طول مكث في غياهب السجون، فيكتب الله على بني إسرائيل هجرة جوع من أرض كنعان إلى مصر، ويظلون بها حتى يذوقوا ظلم فرعون وبطشه، إذ يقتل أبناءهم ويستحي نساءهم، فيتقرر في سجل التاريخ أن هذا النوع من البشر لم يدعه الله ليستريح في أرض، أو لينعم بالراحة والطمأنينة في مكان، فقد أذاقهم الله الذل والخزي والمهانة في ظل إدارة فرعون المتجبرة.

المرحـــلة الأولــــى

ولما بعث الله موسى عليه السلام وكان خروجهم من مصر أملاً وغاية وأمنية قالوا لموسى: ﴿إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾.

فقد غلفت قلوبهم بالخوف والهلع، ولما نجاهم الله من بطش فرعون وأمرهم أن يدخلوا الأرض المقدسة ارتدوا على أدبارهم وتسجل آيات سورة المائدة هذه الأحداث يقول الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢٠ يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُواْ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ﴾[1].

﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ﴾[2].

﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُواْ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[3].

(١) سورة المائدة، الآيتان: ٢٠، ٢١.
(٢) سورة المائدة، الآية: ٢٢
(٣) سورة المائدة، الآية: ٢٣.

﴿قَالُوا۟ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُوا۟ فِيهَا فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلَآ إِنَّا هَـٰهُنَا قَـٰعِدُونَ﴾[1].

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِى وَأَخِى ۖ فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَـٰسِقِينَ﴾[2].

﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ [3] أَرْبَعِينَ سَنَةً ۛ يَتِيهُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَـٰسِقِينَ﴾[4].

ففي النص دلالات كثيرة:

الدلالة الأولى:

إظهار طبائعهم الخائرة المنهزمة، وتوضيح أن عقيدتهم هشة وثقتهم في الله ضعيفة وغير صادقة.

فقبل أن يبلغهم سيدنا موسى عليه السلام أمر الله لهم بدخولهم الأرض المقدسة ذكرهم بنعم الله عليهم:

- ففيهم أنبياء: موسى وهارون.

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٢٤.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٢٥.

(٣) قال ابن كثير: هذا وقف تام. ج٣ ص٤ تفسير ابن كثير.

(٤) سورة المائدة، الآية: ٢٦.

- وجعلهم ملوكًا أسياد أنفسهم ومن قبل كانوا أذلة عند فرعون.
- وآتاهم ما لم يؤت أحدًا من العالمين: ففرق لهم البحر وقد رأوه وشاهدوه بعد يأس من النجاة من فرعون، وفجر لهم الينابيع، وأنزل عليهم المن والسلوى... ولكن جبلتهم خسيسة وطبعهم عقيم خبيث فلم يعبئوا بذلك التذكير، فقد نسوا كل نعمة أنعم الله بها عليهم.

الدلالة الثانية:

إن الأمر بالدخول ذيل بتعقيب يفيد أنهم لن ينفذوه وهو قوله تعالى: ﴿وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ﴾[1] فالارتداد يراد منه النكوص عن طاعة الله أو طاعة نبيه، والمؤدى واحد في النهاية هو عدم موافقتهم على دخول الأرض المقدسة، فهو إرهاص مسبق لسلوك منتظر منهم حسب إلفهم وطبعهم.

الدلالة الثالثة:

أنهم جادلوا في التكليف بدخول الأرض المقدسة، وأنهم لم يقبلوا نصيحة القلة المؤمنة التي أنعم الله عليها بالصدق والإخلاص وحسن التوكل على الله، وأنهم في مجادلاتهم يعاندون إلى درجة أنهم رفضوا على

(١) سورة المائدة، الآية: ٢١.

التأبيد دخولهم الأرض المقدسة فقالوا: ﴿إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُواْ فِيهَا﴾[1].

الدلالة الرابعة:

إن هذا المراد ساقهم إلى سوء الأدب مع الله ومع سيدنا موسى عليه السلام مما يبرهن على أن الأمر بالدخول ليس وعدًا ولا هبة، بل هو أمر تكليف بالجهاد، الأمر الذي يتحاشونه ويخافون منه؛ لأنهم تربوا في إدارة فرعون الذي خلع قلوبهم من الخوف والهلع والرعب.

الدلالة الخامسة:

إن ادعاءهم بعد ذلك أنهم أبناء الله وأحباؤه مردود عليه تاريخيًا؛ لأنهم رفضوا تنفيذ الأمر الإلهي، والمحب يعشق أمر حبيبه، والابن البار يتعب نفسه لإرضاء والده، فسوء جدالهم يفسد عليهم قضية ادعائهم بأنهم أبناء الله وأحباؤه.

الدلالة السادسة:

إن كل من قال: إنا لن ندخلها أبدًا ما داموا فيها، لم يدخل بعد ذلك أرض فلسطين سواء كان لفظ ﴿أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾ ظرفًا للحرمة أو ظرفًا للتيه.

(١) سورة المائدة، الآية: ٢٤.

فقد اتفقت كلمة المفسرين على أن كل من قال: لن ندخلها أبدًا، لم يدخل الأرض المقدسة.

قال الألوسي: قال مجاهد: لم يدخلها أحد ممن قال: «لن ندخلها أبدًا» وإنما دخلها مع موسى عليه السلام النواشيء من ذرياتهم[1].

وقال القرطبي: «أربعين» ظرف زمان للتيه في قول الحسن وقتادة: قالا: ولم يدخلها أحد منهم[2].

«قال الفخر: قال ابن عباس: «.... حرمها عليهم بشؤم تمردهم وعصيانهم، وقيل: اللفظ وإن كان عامًا لكن المراد الخصوص، فصار كأنه مكتوب لبعضهم وحرام على بعضهم، وقيل: إن الوعد بقوله: كتب الله لكم مشروط بقيد الطاعة فلما لم يوجد الشرط لا جرم لم يوجد المشروط»[3].

ويقوي الرأي الذي يذهب إلى أنهم لم يدخلوها: أن الله سبحانه وتعالى سجل عليهم عصيانهم أمره بدخول الأرض المقدسة كجريمة من الجرائم التي أحصيت عليهم مرة أخرى في سورة البقرة والأعراف، يقول الله تعالى:

﴿وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[4].

(١) تفسير روح المعاني ج٥ ص ١٠٩.
(٢) تفسير القرطبي ج٦ ص ١٣٠.
(٣) التفسير الكبير ج ١١ ص ١٩٧.
(٤) سورة البقرة، الآية: ٥٨.

﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ﴾[1].

ويقول جل شأنه: ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ ٱسْكُنُواْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ وَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُواْ حِطَّةٌ وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيٓـَٔـٰتِكُمْ ۚ سَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[2].

﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَظْلِمُونَ﴾[3].

تحكي هذه الآيات المرحلة التالية بعد الخروج من التيه، وتثبت أنهم لم يتحرروا من المعاصي مثل آبائهم، قال ابن كثير: «وهذا كان لما خرجوا من التيه مع يوشع بن نون عليه السلام وفتحها الله عليهم ولما فتحوها أمروا أن يدخلوا الباب سجدًا»[4].

***

ومن هذا العرض أستخلص:

أن كلمة: التي كتب الله «ليس معناها الوعد بل: معناها الأمر والفرض،

(١) سورة البقرة، الآية: ٥٩.
(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٦١.
(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٦٢.
(٤) ابن كثير ج١ ص ٩٨.

إذ لو كانت وعدًا لما رفضه اليهود وجادلوا فيه، فدل جدالهم على أن كلمة «كتب» بمعنى أمر بالجهاد وهو أمر بغيض إلى نفوسهم»[1].

وأن الارتداد المذيِّل للآية إرهاص بالمخالفة التي ستقع منهم، وهي مخالفة للآمر وهو «الله جل جلاله» ولحامل الأمر وهو: سيدنا موسى عليه السلام فهم بذلك عصاة لله ولرسوله معًا.

وعلى هذا ينحل إشكال قيد الظرف في أربعين وتتمحص الظرفية للتيه لأن المحتاج لتحديد الزمن ليس الحرمة بل هو التيه؛ لأنه حركة في مكان فهي أولى بالتعلق بالظرف، أما الحرمة فحكم معنوي لا يحتاج إلى تحديد زمن لعدم وجود مقتضيه لا سيما في جوٍّ أَبَّدَ فيه اليهود عدم دخولهم الأرض المقدسة التي أمروا بدخولها.

وبهذا يسقط حق اليهود دينيا في أن لهم أرضًا موعودة لأنهم رفضوها وجادلوا في رفضها، بل وعاندوا حتى حكموا على أنفسهم بالتأبيد في عدم دخولها وقد استجاب الله لدعاء موسى عليه السلام فكتب التيه عليهم حتى يقضي عليهم فيه لأنهم قوم فاسقون، وهو فسق تعلل به سيدنا موسى في دعائه ووافقه الله عز وجل في قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِيۖ فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾[2].

(١) كلمة كتب تأتي بمعنى فرض في قوله تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ﴾ [المائدة: ٤٥].

(٢) سورة المائدة، الآية: ٢٥.

﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾[1].

فهل يعقل بأن يرميهم الله ورسوله بالفسق ثم تكون لهم عند الله وجاهة؟ بل إن عدم دخولهم الأرض المقدسة جُعل إحدى الجرائم التي عددتها آيات في سورة البقرة والأعراف، فدل ذلك على أن الله غضب عليهم وحرَّم عليهم الأرض المقدسة وفاقًا لعنادهم وارتدادهم على أدبارهم.

***

(١) سورة المائدة، الآية: ٢٦.

المرحلة الثانية

وتنتهي هذه المرحلة من تاريخ اليهود، لتبدأ مرحلة ثانية اتفق المفسرون والمؤرخون فيها على أن يوشع عليه السلام هو الذي قاد الجيش الذي توجه لقتال العماليق، ويوشع بن نون هو أحد الرجلين اللذين قالا لبني إسرائيل: ادخلوا عليهم الباب.. وعلى الله فتوكلوا... أما سيدنا موسى فقد اختلف المفسرون في دخوله الأرض المقدسة، وأولى الأقوال بالقبول أنه مات في الطريق بعد أن قتل أحد العماليق ... ويسجل القرآن الكريم على هذا الجيش الذي قاده يوشع عليه السلام أنه مع امتثاله للأمر بالجهاد ودخول الأرض المقدسة فقد دخل عاصيًا لبعض الأوامر، فقد حملت ذرية بني إسرائيل وراثة فعل المعصية، إذ أمرهم الله أن يدخلوا الباب سجدًا وأن يقولوا حطة: يشكرون نعمة الله عليهم ويطلبون حط الذنوب عنهم، فدخلوها زحفًا على أستاههم وقالوا: حنطة، ففي البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: قيل لبني إسرائيل: ادخلوا الباب سجدًا وقولوا: حطة، فدخلوا يزحفون على أستاههم فبدلوا وقالوا: حبة في شعرة. وعند ابن عباس: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: دخلوا الباب يزحفون على أستاههم وهم يقولون: حنطة في شعرة[1]، ولهذا العصيان غضب الله عليهم وأنزل عليهم رجزًا من السماء بما كانوا يفسقون.

---

(١) راجع تفسير ابن كثير ج١ ص٩٩.

المرحلة الثالثة

دخل اليهود ـ وهم عصاة ـ أرض فلسطين للسكن في ظل نبي الله يوشع ولم يدم حالهم مرضيًا عنه حتى أنزل الله عليهم رجزًا من السماء، فلم يتمكنوا من الاستقرار في الأرض ولم ينعموا بالفتح، فقد سلط الله عليهم من حاربهم وأخرجهم من الديار، وطال عليهم العهد حتى شعروا بالندامة، فقالوا لنبي لهم: ابعث لنا ملكًا نقاتل في سبيل الله قال الآلوسي في تفسيره روح المعاني: وسبب طلبهم ذلك أنه لما مات موسى خلفه يوشع ليقيم فيهم أمر الله تعالى ويحكم بالتوراة، ثم خلفه كالب كذلك، ثم حزقيل، ثم إلياس ثم اليسع، ثم ظهر لهم عدو وهم العمالقة قوم جالوت، وكانوا سكان بحر الروم بين مصر والشام، وظهروا عليهم وغلبوا على كثير من بلادهم، وأسروا من أبناء ملوكهم أربعمائة وأربعين، وضربوا عليهم الجزية، وأخذوا ثرواتهم، ولم يكن لهم نبي إذ ذاك يدبر أمرهم، وكان سبط التوراة قد هلكوا ولم يبق إلا امرأة حبلى فولدت غلامًا فسمته: (أشمويل) ومعناه: إسماعيل، وقيل: شمعون، فلما كبر نبأه الله وأرسله إلى بني إسرائيل، فقالوا له: إن كنت صادقًا فابعث لنا ملكًا نقاتل في سبيل الله، وكان قوام أمر بني إسرائيل بالاجتماع على الملوك وطاعة أنبيائهم، وكان

الملك هو الذي يسير بالجموع، والنبي هو الذي يقيم أمره ويرشده ويشير عليه[1].

والنص القرآني يوضح طبيعة الخلق اليهودي: الالتواء، والتنكر، والعصيان، والتمرد وخلف الوعد، وسرعة التكذيب، وطول الجدل والمراء، فلما بعث الله طالوت عليهم ملكًا رفضوه، فقد كان اختياره على غير مألوف لهم: إذ كان المُلك في بيت يهوذا، ولم يكن طالوت واحدًا من هذا السبط، فقد كان أبوه سقاء أو دباغًا على نحو ما ذكره الكاتبون.

لقد أعلنوا التمرد الأول بمجرد أن صادف اختيار الملك غير هواهم فقال لهم نبيهم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰهُ عَلَيۡكُمۡ وَزَادَهُۥ بَسۡطَةٗ فِي ٱلۡعِلۡمِ وَٱلۡجِسۡمِۖ﴾[2]، وما أحوجهم لمثل هذه الصفات في مواجهة العماليق وقال لهم نبيهم ـ أيضًا ـ: إنه سيحقق لكم مأربكم فسيأتيكم بالتابوت تسكن به ثائرتكم وفيه بقية من مواريث آل موسى وآل هارون.

فلما فصل طالوت بالجنود أصدر أوامره، قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مُبۡتَلِيكُم بِنَهَرٖ﴾[3] قيل: بين الأردن وفلسطين يسمى (نهر الشريعة) فمن شرب

(١) راجع تفسير روح المعاني ج١ ص ١٦٥، وتفسير ابن كثير ج١ ص٣٠٠، راجع تفسير الطبري ج٥ ص ٢٩٨ وما بعدها.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٤٧.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٤٩.

منه فلا يصلح للقتال معي، فكان التمرد الثاني فشربوا منه إلا قليلاً منهم، قال المفسرون: كانوا ستة وسبعين ألفًا شربوا جميعًا إلا أربعة آلاف[1].

وهذه القلة عندما واجهت جالوت قالوا: ﴿لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ﴾ فهم مع كونهم مؤمنين مازالت عناصر وراثة فعل المعصية تسول لهم، فقالت طائفة قليلة من هذا العدد القليل وهم الذين يظنون أنهم ملاقوا الله: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾[2]، وهو دائمًا منطق المؤمنين الصادقين وليس وقفًا على عنصر أو نوع من البشر، وتنتهي المعركة بأن أقام الله لسيدنا داود دولة قال الله تعالى: ﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ﴾[3].يعني: صنعة اللبوس، ومنطق الطير وكلام الدواب، ثم ورَّث الله ملك داود لولده سليمان ـ عليهما السلام ـ، وإنني لآسف أشد الأسف للكلمات النابية التي ذكرها الدكتور «فيليب حتّى» في وصفه لسيدنا سليمان فقد أسفَّ في تعبيراته وإن كان لم يجعل لليهود يدًا في الحضارة التي قامت في مملكة داود وسليمان؛ إذ جعلها كلها من مساعدات الملك الفينيقي «حيرام»

(١) راجع ابن كثير ج١ ص ٣٠٢ وراجع تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين دكتور فيليب حتى ص ١٢٩، ص ٣٠٤/ ٣٠٥.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٤٩.
(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٥١.

وأنَّ الهيكل الذي بناه سليمان قد أخذ فكرته من حياة الكنعانيين، وكان هيكلاً خاصًا به وحده.

فمملكة داود وسليمان ليست مملكة يهودية عنصرية فلم يُقمها اليهود ولا يسمح تاريخ تمردهم وعصيانهم على أوامر الله وأوامر أنبيائهم بادعاء أنهم أصحاب جهد في إقامة هذه المملكة، فالله وحده هو الذي أقامها لداود ثم سليمان، يقول الله تعالى: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ﴾[1].

﴿۞وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضۡلٗاۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ وَٱلطَّيۡرَۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلۡحَدِيدَ ١٠ أَنِ ٱعۡمَلۡ سَٰبِغَٰتٖ وَقَدِّرۡ فِي ٱلسَّرۡدِۖ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ١١ وَلِسُلَيۡمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهۡرٞ وَرَوَاحُهَا شَهۡرٞۖ وَأَسَلۡنَا لَهُۥ عَيۡنَ ٱلۡقِطۡرِۖ وَمِنَ ٱلۡجِنِّ مَن يَعۡمَلُ بَيۡنَ يَدَيۡهِ بِإِذۡنِ رَبِّهِۦۖ وَمَن يَزِغۡ مِنۡهُمۡ عَنۡ أَمۡرِنَا نُذِقۡهُ مِنۡ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ١٢ يَعۡمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٖ كَٱلۡجَوَابِ وَقُدُورٖ رَّاسِيَٰتٍۚ ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ١٣ فَلَمَّا قَضَيۡنَا عَلَيۡهِ ٱلۡمَوۡتَ مَا دَلَّهُمۡ عَلَىٰ مَوۡتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلۡأَرۡضِ تَأۡكُلُ مِنسَأَتَهُۥۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلۡجِنُّ أَن لَّوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ٱلۡغَيۡبَ مَا لَبِثُواْ فِي ٱلۡعَذَابِ ٱلۡمُهِينِ﴾[2].

(١) سورة ص، الآية: ٢٦.

(٢) سورة سبأ، الآيات: ١٠: ١٤.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَـٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ وَوَرِثَ سُلَيْمَـٰنُ دَاوُودَ ۖ وَقَالَ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَـٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾[1].

﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَـٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِىِّ ٱلصَّـٰفِنَـٰتُ ٱلْجِيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّىٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ﴿٣٢﴾ رُدُّوهَا عَلَىَّ ۖ فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَـٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَـٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَـٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾[2].

إذن: فهي مملكة ربانية وعطاء إلهي وليست مملكة عنصرية يهودية.

***

(١) سورة النمل الآيات: ١٥ : ١٧.

(٢) سورة ص، الآيات: ٣٠: ٤٠.

المرحــلة الرابعــة

«التقسيم»

تتفق كلمة الكاتبين في هذا التاريخ على أن المملكة بعد سيدنا سليمان عليه السلام قد انقسمت إلى قسمين، وهذا الانقسام أمر متوقع من اليهود فطوال مراحل حياتهم وهم لا يجتمعون على نبي ولا ملك، فانقسام المملكة أمر متوقع ومنتظر، فلا ينتظر عاقل من السلوك اليهودي غير هذا، يقول الكاتبون في مقدمة إنجيل متى: وبعد موت سليمان انقسمت المملكة إلى قسمين: أحدهما هو مملكة إسرائيل في الشمال وكانت عاصمتها «السامرة»، وعاشت في الفترة من عام (٩٢٧) ق.م إلى عام (٧٢١) ق.م.

والثاني: هو مملكة يهوذا في الجنوب، وكانت عاصمتها أورشليم، وعاشت في الفترة من عام (٩٢٢) ق.م إلى عام (٥٨٥) ق.م.

ويذهب الدكتور فليب حتى نحو هذا المذهب في انقسام المملكة إلى هذين القسمين، ويُرْجِعُ التقسيم إلى فشل اليهود في الاجتماع الذي عقدوه في بيت (شكيم) لاختيار ولده (رحبعام) ملكًا عليهم بشروط، فلما اختلفوا وقع التقسيم[1].

(١) تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ص ٢٠٨.

التشرد:

وكان هذا التقسيم إيذانًا بالتشرد والمحق لليهود:

أ- ففي عام ٧٢١ ق.م تمكن الملك الآشوري (سرجون الثاني) من محو مملكة إسرائيل في الشمال وسبي أحسن رجال إسرائيل ورحلوا إلى (ميديا)، وكان عددهم كما يذكر الدكتور فيليب حتى ٢٧٢٨٠ شخصًا؛ بل إنه ليقول: وتلاشت مملكة إسرائيل إلى الأبد... والبحث عن الأسباط العشرة المفقودة، وادعاء بعض الجماعات في انجلترا والولايات المتحدة أنها متسلسلة منها هي أمور تدعو إلى السخرية، وقد أظهر الرحالة (بنيامين) من بلدة (توديلا) في القرن الثاني عشر مقدارًا أكبر من الفهم التاريخي حين كتب أن الطائفة اليهودية في جبال نيسابور في شرقي إيران ينحدر أفرادها من المسبيين(١).

ويستمر الدكتور فيليب حتى في ذكر سياسة الآشوريين تجاه المستعمرة الجديدة في فلسطين، فيذكر أنهم نقلوا إليها قبائل من بابل والعرب لتحل محل الإسرائيليين، وأنهم بنوا هيكلاً لينافس هيكل أورشليم في الجنوب.

---

(١) تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ص ٢١٤.

ب- وفي عام ٥٨٥ (ق.م) تمكن ملك بابل (نبوخذ نصر) من القضاء على أورشليم وساق الشعب أسرى إلى بابل، فعاش اليهود في المنفى عيش العبيد، ويسرد الدكتور فيليب حتى وقائع نهاية دولة يهوذا فيقول: ولم يكن (يهويا قيم) ممن يمكنهم مقاومة (نبوخذ نصر) الذي دخل جيشه إلى (أورشليم) في عام ٥٩٧ (ق.م) وقيد الملك المتمرد بالسلاسل ليحمله معه إلى بابل، غير أن الملك مات أو قتل وطرحت جثته خارج أبواب (أورشليم) ، ولم يكن ابنه (يهويا قيم) أكثر حكمة من والده حين ظهر (نبوخذ نصر) فسُبيَ الملك الشاب، ووريث العرش مع نسائه وأمه، وموظفيه وسبعة آلاف من جنوده، وألف من مهرة الصناعة إلى بابل.

ويقول الكاتبون:

في الفترة من ٦٩٧- ٥٨٦ ق.م أرسل (نبوخذ نصر) جيشًا هدفه خراب (أورشليم) فهرب الملك، ولكن الجيش لاحقه حتى أدركوه في سهل (أريحا)، وجيء به إلى (نبوخذ نصر) فقتل أولاده جميعًا أمامه ثم سُمِلت عيناه لكي يكون ما رآه آخر مشهد له، ثم قُيد بالسلاسل وحمل إلى بابل.

أما (أورشليم) فإنها هُدِّمت مع هيكلها، وسبي العظماء من سكان المدينة والبلاد ويقدر عددهم (٥٠٠٠٠) ولم يبق إلا جماعة من

البائسين بعد أن دمرت كل مدينة مهمة في يهوذا... وظلت كذلك عدة قرون[1].

يقول الكاتبون في مقدمة إنجيل متى بالقاهرة: وقد عاش اليهود في المنفى بعد سبيهم عيش العبيد، فلم يلبثوا أن حاكوا سادتهم الكلدانيين سكان ما بين النهرين في عاداتهم، وتخلقوا بأخلاقهم وعبدوا آلهتهم[2].

إذن يتضح من هذا العرض لهذه المراحل:

(أ) أن اليهود في ظل سيدنا موسى ﷺ حرَّموا على أنفسهم دخول الأرض المقدسة لأن فيها قومًا جبارين.

(ب) وأنهم بقيادة نبي الله يوشع دخلوها وهم عصاة مذنبون.

(ج) وأنهم رفضوا طالوت ملكًا وقد طلبوا من نبي لهم أن يسأل الله أن يبعث لهم ملكًا يقاتلون في سبيل الله.

(د) وأن طالوت راح يغربلهم للقاء العدو حتى صاروا قلة من جملة آلاف كثيرة.

(هـ) وأن الله اصطفى داود ملكًا ونبيًا ومكن له في دولة وسخر له الجبال والطير وأَلَانَ له الحديد، وورَّث الله سليمان ملك أبيه... فهي

(١) تاريخ سورة ولبنان وفلسطين ص ٢١٨/ ٢٢٠.
(٢) مقدمة إنجيل متى ص ١٦.

مملكة إلاهية، ومظاهر حضارتها ليس من صنع اليهود بخاصة، بل من الجند المتعدد الأنواع والأجناس الذي سخره الله لسيدنا سليمان عليه السلام وأن سليمان بنى معبده له خاصة وليس للشعب.

(و) وأن اليهود بعد سليمان عليه السلام اختلفوا فانقسموا إلى دولتين في الشمال وفي الجنوب، وأن هاتين الدولتين لم تشملا كل بلاد فلسطين، فما زالت هناك مدن على الساحل من غزة حتى جنوب يافا، وحول ذلك يقول الدكتور فيليب حتى: «وكان الفلسطينيون أقوى المنافسين الذين كان على العبرانيين أن يقاتلوهم لامتلاك البلاد... وبعد أن فتح العبرانيون المرتفعات الوسطى سيطر الفلسطينيون على البلاد الساحلية.

ويقول: امتد الساحل الذي استولى عليه الفلسطينيون بصورة دائمة من غزة حتى جنوبي يافا، وأهم المدن التي استوطنوها كانت: غزة، وعسقلان وأشدود، وعقرون، وجت، واحتفظت بأسمائها السامية تحت حكمهم[(١)].

وإذن فاستمرار الوجود الفلسطيني في أرض فلسطين وبقاء العرب بصفة عامة من قبل الميلاد في أرض فلسطين هو حقيقة تاريخية؛ بينما كان وجود العبرانيين متذبذبًا بين هجرة ونكوص عن الجهاد، ودخول

(١) تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ص ١٩٦ : ١٩٧.

إلى الأرض المقدسة وهم عاصون ثم تشريد من دولتي: اشور، وبابل يقول المستر ويلز: «... ويصبح تاريخ ملوك إسرائيل وملوك يهوذا تاريخ ولايتين صغيرتين بين شقي الرحا...» وهي قصة نكبات لا تعود عليهم إلا بالنكبات القاضية[1].

(١) موجز تاريخ العالم ترجمة عبد العزيز جاويد ص ٩١/ ٩٢.

المرحـلة الخامسـة

حلت الكارثة بمملكة بابل عام ٥٣٩ (ق.م) حين هاجم الفرس بلاد الكلدانيين، وعلى إثر هذا اعترفت مناطق الإمبراطورية البابلية بالحكم الفارسي بما في ذلك فلسطين، فبدأ بذلك عصر الإمبراطورية الفارسية، وانتهى عصر الإمبراطورية السامية، ودخلت فلسطين في حوزة النظام الفارسي، فأراد الملك كورش عندما دخل بابل ـ عام ٥٣٨ق.م ـ أن يحدث توازنًا بين حزبين داخل فلسطين: كان أحدهما مواليًا لمصر فأصدر مرسومًا يخول للذين يودون الرجوع إلى أرض آبائهم أن يعودوا، ففضل الأغنياء المسبيون البقاء، ويدلل الدكتور فيليب حتى على هذا بقوله: بدليل ورود أسماء عبرانية بصورة متكررة في الوثائق التجارية لذلك العهد، وأنَّ الذين استجابوا لهذه الدعوة هم بصورة رئيسة من العناصر الناقمة ومن الذين لم يكن لهم جذور في الأرض الجديدة، ومما لاشك فيه أن كثيرًا من المسبيين قد عمل بنصيحة النبي أرميا: «اطلبوا سلام المدينة التي سبتكم إليها وصلوا لأجلها إلى الرب لأنه بسلامها يكون لكم سلام»[1].

ولم يدم الأمر طويلاً حتى كان الإسكندر الأكبر، يدق آخر مسمار في نعش الإمبراطورية الفارسية في البحر الأبيض باستيلائه على غزة

(١) تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ص ٣٤٣ راجع الإصحاح ٢٩ من سفر أرميا.

وصارت بلاد فلسطين كلها تحت سلطانه... فلما مات قَسَّمَ قُوَّادَهُ الإمبراطورية بينهم فكانت ولاية اليهودية مثار نزاع دائم بين (سيليوكرس) وخلفائه في سوريا، وبين (بطليموس) وخلفائه في مصر.

ثم جاء عصر الرومان عام ٥٨ ق.م، ويصف الدكتور فيليب حالهم في ظل الحكم الروماني فيقول: عومل اليهود كجماعة متميزة، فلم يُطلب منهم المساهمة في عبادة الحاكم الروماني، وكانوا بممارستهم سياسة الانطواء والعزلة يغذون شعورهم القومي، وأدى هذا إلى اصطدامات اتسعت فأصبحت ثورة قومية بين عامي ٦٩- ٧٠م في عهد (نيرون) وبين ١٣٢- ١٣٤ تحت حكم (هادريان)، ونتج عن هاتين الثورتين الانفصام النهائي بين اليهود والمسيحيين، وحلت بالمجتمع اليهودي كارثة دائمة... فقد عهد (نيرون) بمهمة قمع الثورة الأولى إلى قائده (فَسْبَاسْيَان) الذي حاصر (أورشليم) فتوفى ساعتها (نيرون) ورفع (فسباسيان) إلى العرش فعهد إلى قائده (تيطس) بالمهمة فحاصر (أورشليم) خمسة أشهر انتهت في أيلول (سبتمبر) سنة ٧٠م.

ويمكننا الحصول على فكرة عن مصير المحاصَرين المفجع من وصف ميثاق متبادل بين اليهود، وتعهدوا فيه بإبادة أنفسهم حين كان الجنود الرومان يفتحون المدينة، فبعد أن أبادوا نساءهم وأولادهم

توقف كل منهم عن القتال ورمى سلاحه حول أفراد أسرته المذبوحين، وقدم رقبته لضربة من الذي جعلته القرعة يقوم بهذه المهمة الكئيبة[1].

أما مدينة (أورشليم) فقد هدمت وأحرق المعبد، وهو المعبد المزخرف الذي بناه هيرودس.

ولقد كان التهديم الذي قام به (تيطس) تامًا حتى إن الناس قد نسوا إذا كان المعبد قد بني على التلة الشرقية أو الغربية في أورشليم، وزالت اليهودية كدولة سياسية من الوجود، وأصبح اليهود منذ ذلك التاريخ شعبًا بدون وطن فأضاف الرومان في تاريخ تشرد اليهود فصلاً آخرَ ينضم إلى الفصول التي صنعها الآشوريون والكلدانيون[2].

فأي هيكل يبقى لهم؟ وأي معبد كان لهم؟ وأي ديار هي من حقهم؟.

كذلك تعرض اليهود في ظل الدولة الرومانية بعد هذا إلى محق لما تبقى منهم حين رفعت راية الثورة الثانية عام ١٣٢-١٣٥م فتصدى لهم قائد غامض غير معروف يسمى (سيمون باركوخيا) فسحق الثورة سحقًا نهائيًا، وحول (أورشليم) إلى مستعمرة رومانية باسم «إيليا كابيتولنا» **ALIA CAPITOLINA** وبدل المعبد القديم فجعله معبدًا (لجوبيتر كابيتولينس) **JOPITER COPITOLINUS**.

(١) تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ص ٣٧٥/ ٣٧٦.
(٢) نفس المرجع ص ٣٧٦.

«والمستر ديو **DIO** يقدر عدد القرى التي دمرت بتسعمائة وخمس وثمانين قرية، وعدد القتلى بخمسمائة وثمانين ألفا...»[١].

تقول اللجنة المكلفة بالإشراف على إعادة طباعة الإنجيل في مصر: «بيد أن ثورات اليهود استمرت ضد الرومان فأرسلوا إليهم عام ٧٠ بعد الميلاد جيشًا حاصر (أورشليم) واقتحمها ودكها دكًا، وأضرم النار في الهيكل، ثم أعمل السيف في رقاب اليهود، ثم قام الرومان بتخريب كل المدن اليهودية والقضاء على اليهود الساكنين فيها فانتهى بذلك تاريخ دولة اليهود إلى الأبد»[٢].

إذن ففكرة هيكل سليمان، وشعب الله المختار، والأرض الموعودة من النيل إلى الفرات خرافات ضحك بها الحاخامات الذين كتبوا تلمودي بابل وأورشليم، ثم تلقفها السياسيون المستعمرون أعداء الإسلام، فكونوا من تلك الخرافات هياكل استخدموها كبديل عن استمرار شن الحروب الصليبية على العرب والمسلمين، فسهل لهم ابتزاز مدخراتنا وثرواتنا وتراثنا ومقدساتنا مع ضعف ضعيف وحيرة مربكة نعيش فيها...

(١) راجع تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ص ٣٧٧.
(٢) مقدمة إنجيل متى ص ١٧ طبع دار المعارف بمصر.

المرحـلة السادسـة

الفتـح الإسلامـي

ترتبط القدس بالإسلام منذ بدء الرسالة الإسلامية في عهدها المكي، فبينما كانت القدس تتبع الإدارة الرومانية وفيها آثار من الأنبياء السابقين، أُسري برسول الله ﷺ سيدنا محمد بن عبد الله خاتم الأنبياء والمرسلين إليها في طريقه إلى المعراج إلى سدرة المنتهى، وكان مغزى الإسراء من البيت العتيق بمكة المكرمة إلى المسجد الأقصى بالقدس الشريف؛ ـ والإسلام ما زال في مكة ـ إعلانًا من الله ﷻ أن مواريث الأنبياء جميعًا قد أعادها الله إلى خاتم الأنبياء والمرسلين بمشهد فَذّ وحيد في عمر الدنيا والرسالات جميعًا: أن يحضر كل الذين أرسلهم الله إلى الناس من لدن آدم عليه السلام حتى عيسى ابن مريم عليه السلام في آخر أثر مشهود للأنبياء، ليصلي محمد بن عبد الله ﷺ بهم جميعًا إمامًا بمحضر من حامل الوحي إلى جميع الأنبياء سيدنا جبريل عليه السلام، ويسجل القرآن الكريم هذا الحدث الجليل: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[1].

ومع أن هرقل الروم كان حزاء يعرف النجوم والفلك، وكان بمقتضى معرفته بالكتاب الذي جاء به عيسى عليه السلام يدرك أن نبيًا خاتمًا سيبعث.. فإنه

(١) سورة الإسراء، الآية: ١.

غفل عن هذه الحقيقة وقت الرحلة إلى بيت المقدس في إمبراطوريته، وجنده الشديد لم يعرف ولم يراقب مع أنهم يدَّعون أنهم أهل حرب وفطنة وعبقرية.

إذن حادث الإسراء إلى بيت المقدس توريث إلهي لبقية ما ترك الأنبياء السابقون إلى سيدنا محمد ﷺ؛ لأن محمدًا ﷺ قد جاء خاتمًا يرث تركة الأنبياء ويبلغ ويصحح دين الله الذي حمله الموكب الوضيء ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًاۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ﴾[1].

والصلة الثانية: صلة سياسية أو صلة دبلوماسية، ذلك أن تاريخ الدعوة يحفظ لصاحب (إيلياء) أنه جاء إلى النبي ﷺ وعقد معه صلحًا عندما كان آيبا من غزوة العسرة: غزوة تبوك على ما هو مروي في التاريخ.

* * *

وبذلك تبدأ صلة الدولة الإسلامية بالدولة الرومانية عسكريًا ودينيًا منذ حياة النبي ﷺ، ثم كانت من بعده عليه الصلاة والسلام في ظل الخلفاء الراشدين فكانت معارك اليرموك بالشام، ثم معارك أجنادين، ثم تقدم المسلمون إلى (إيلياء) بقيادة أمين الأمة أبي عبيدة عامر بن الجراح رضي الله عنه، وكان موسم الشتاء قد أظل الناس بمظلة من القّر والصِّر، وحوصرت

(١) سورة الأنعام، الآية: ٩٠.

المدينة حتى يئس أهلها، وطلبوا أن تسلم إلى رئيس الدولة سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فاستشار أصحابه واستخار الله وخار الله له، فأخذ طريقه إلى القدس مارًا بتلال الجولان فاستقبله المسلمون في (الجابية) ـ وهي إحدى قرى الجولان شمال حوران ـ ثم توجه إلى بيت المقدس عام ٦٣٦م السنة الخامسة عشرة من الهجرة النبوية الشريفة، فاستقبله كبير الأساقفة البطريرك (سفْرونْيُوس)، وطلب من سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن ينص في وثيقة المعاهدة على ألا يسكن القدس واحد من اليهود، وشهد على ذلك جمْع من كبار الصحابة والقادة العسكريين وهم:

خالد بن الوليد، وعمرو بن العاص، وعبد الرحمن بن عوف، ومعاوية ابن أبي سفيان[(١)].

فصارت القدس بذلك إسلامية لأن الإسلام ليس دينًا عربيًا ولا دينًا شرقيًا ولا دينًا زمنيًا بل هو دين الله للناس كافة، فمن فرط في القدس فقد فرط في إجماع الصحابة وخالف أصلاً من أصول التشريع الحنيف.

❊❊❊

ثم صار للإسلام في القدس منارات ومعالم منها:

---

(١) راجع تاريخ الطبري ج٣ ص٦٠٢/ ٦٠٩ طبع دار المعارف، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، راجع البداية والنهاية للحافظ ابن كثير ج٧ ص٥٥/ ٦١.

١- حائط البراق: وهو جدار يبلغ طوله ٥٦ قدمًا وارتفاعه ٦٥ قدمًا مبني من الحجارة، وهو يشكل جزءًا من جدار الحرم القدسي الغربي وبجانبه مسجد صغير لصلاة النافلة، وهو نفس الجدار الذي وصل إليه عمر بن الخطاب ﵁ عندما دخل مدينة (إيليا، كابتولنا).

٢- المسجد الأقصى المبارك.

٣- الجامع العمري: وهو المكان الذي صلى فيه الخليفة العادل عمر ابن الخطاب ﵁.

٤- مسجد الصخرة المشرفة.

والصخرة يحيط بها حاجز خشبي حفر بشكل فني رائع، يصل طولها ثمانية عشر مترًا، ويصل عرضها ثلاثة عشر مترًا، ويصل ارتفاعها إلى متر واحد في بعض الأجزاء وإلى مترين في أجزاء أخرى، ويغطيها قبة واسعة أمر ببنائها الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان عام ٧٢هـ-٦٩١م حسب ما هو مدون في الوثائق.

تسامح إسلامي فريد

بالإضافة إلى عديد المساجد التي تقترن بأسماء الخلفاء والولاة والسلاطين المسلمين عهدًا بعد عهد على طول تاريخ الدولة الإسلامية وما أنشئ فيها من مدارس للقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، والعديد من الأسواق، وزوايا التعليم، ونظم الإدارة والحكم... وتوالت عصور التاريخ الإسلامي، والمسلمون يعاملون أصحاب الأديان الأخرى في القدس وفي غيرها من بلاد فلسطين أفضل معاملة، إلى درجة أن المؤرخ الإنجليزي (أرنولد توينبي) اعتبر أن ظاهرة التسامح الديني من المسلمين في القدس وفي فلسطين ظاهرةٌ فريدة في تاريخ الديانات.

ومعروف في التاريخ أن الخليفة العباسي (هارون الرشيد) قد سمح للإمبراطور «شارلمان» بترميم الكنائس وأهدى إليه ساعة دقاقة وأقمشة نفيسة، وضمن له حماية الزوار النصارى لآثار المسيح ﷺ في القدس.

الحروب الصليبية

ولم تتعرض منطقة القدس والشرق العربي لاضطهادات دينية وفتن طائفية بين النصارى والمسلمين إلا بعد الاعتداءات الصليبية على مسلمي الشرق ونصاراه معًا.

وقد نشأت فكرة الحروب الصليبية بأسلوب مفتعل من بطرس الناسك أو كما يسمى أحيانًا بطرس الطرطور[1] فقد ادعى أنه رأى فيما يرى النائم أن السيد المسيح ﷺ طلب منه مقابلة البابا (اربان الثاني) وحثَّه على الدعوة للحروب الصليبية.

وفي رواية أخرى أن بطرس هذا ادعى أن المسلمين السلاجقة منعوه من زيارة الآثار المسيحية في القدس، فعاد ونظم حملة في كل أوربا لتخليص قبر السيد المسيح من قبضة المسلمين.

ورواية ثالثة تقول: إن المبشرين الدومنيكان والفرنسيسكان قاموا بدور في سبيل تحويل كل من المسلمين والمسيحيين في الشرق إلى مسيحيتهم الغربية الكاثوليكية[2].

---

(١) راجع ص٣١٣ من كتاب العرب والروم واللاتين للدكتور جوزيف نسيم، طبع دار المعارف.

(٢) راجع الفصل الأول من كتاب العرب والروم واللاتين- دكتور جوزيف نسيم جامعة الإسكندرية.

ومهما يكن من أمر البواعث والأسباب فقد أعلنت الحركة الصليبية البربرية الغربية في مؤتمر «كلير هون» عندما راح البابا (أربان الثاني) يُشَنِّعُ على العرب في خطبته وأشار بصراحة إلى فرص الربح المادي والنجاح المؤكد في تكوين الإمارات والممالك في منطقة الشرق العربي على حساب أهلها وأصحابها..

وجاءت هذه الصيحة المعتدية الظالمة بعد وقت كانت الأسرة المقدونية قد اعتلت عرش بيزنطة عام ٨٣٧م- ١٠٥٩م وأخرجت عددًا من الأباطرة الأقوياء الذين أخذوا على عاتقهم مهمة استرداد أملاكهم من المسلمين التي فقدوها قديمًا وكان في مقدمتهم:

- بازيل الأول مؤسس الدولة ٨٦٧- ٨٨٦م.
- وقسطنطين السابع ٩١٣- ٩٥٩م.
- وابنه رومانوس الثاني ٩٥٩- ٩٦٣م.
- ونقفور فوكاس الثاني ٩٦٣- ٩٦٩م.
- ويوحنا تزمسكيس ٩٦٩- ٩٧٦م.
- وبازيل الثاني ٩٧٦- ١٠٢٥م.

الذين عملوا على استتباب الأمور في داخل الإمبراطورية ليتسنى لهم التفكير في التوسع وبسط النفوذ على حساب الجيران العرب المسلمين.

وأحرز الأباطرة انتصارات على العرب والمسلمين في عهد بازيل

الأول وقسطنطين السابع الذي استولى على حلب، وفي عهد نقفور فوكاس استولى على قبرص وأنطاكية كطريق يوصله إلى بيت المقدس[1]، وقد بلغت القوات البيزنطية حدود (أورشليم) في عهد يوحنا تزمسكيس.

هذا في الوقت الذي كانت الأمة العربية والإسلامية في تمزق وصراع وخلاف واختلاف وحروب، فدبَّ الانحلال السياسي والعسكري في جسم الدولة العباسية التي انقسمت إلى دويلات متعددة متنافرة.

- فقامت دولة الحمدانيين بالشام على أكتاف سيف الدولة.
- واستقل الطولونيون ثم الإخشيد من بعدهم بحكم مصر.
- وقامت الخلافات بين الإخشيديين والحمدانيين.
- وظهرت العناصر الفارسية تتحكم في سلطان الخليفة العباسي، حتى أصبح الخليفة العباسي ألعوبة في أيدي الأمراء البويهيين، وليس له من الأمر شيء.

هكذا بلغ المسلمون من الضعف والانحلال السياسي والعسكري حين بلغت دولة الروم ذروة مجدها حتى إن أهل الغرب اعتبروا بيزنطة حامية أوربا المسيحية الغربية ضد العرب في الشرق المسلم، ثم حلت بأوروبا موجة من التصارع.

فاستولى النورمان بقيادة جويسكان على جنوب إيطاليا عام ١٠٧١م.

---

(١) العرب والروم واللاتين ص١٠١.

وحاول غزو القسطنطينية، وهنا فكر الأتراك المسلمون السلاجقة في تجميع قواتهم على حدود أرمينية، استعدادًا لغزو آسيا الصغرى التي لا تزال تحت حكم بيزنطة، وحسب الخطة العسكرية للأتراك السلاجقة كان لابد من حماية القدس من عدوان البيزنطيين لضعف الدولة الفاطمية عن حمايتها، لأنها كانت في دور الاحتضار حيث كانت السلطة بين الوزراء ولا حول ولا قوة للخليفة الفاطمي، فاستولى السلاجقة على مدينة القدس عام ١٠٧٠م، ثم اتجهوا إلى الدولة البيزنطية فألحقوا بها هزيمة في معركة (ملاذكرد) وتقدم السلاجقة فاستولوا على:

أزمير، ونيقية، ودوربليوم، وأنطاكية في عام ١٠٧٥م وأضحت القسطنطينية نفسها تواجه هذا الخطر، فلم تعد حامية لأوروبا المسيحية ولا للمسيحية الأوربية، فلما تولى العرش (الكسيس كومنيس) جعل من القسطنطينية مركز تجمع لقوى الصليب، ومعْبراً ميسِّرًا للحروب الصليبية، بل إنه بعث رسله إلى البابا (أربان الثاني) وإلى كبار رجال الإقطاع في أوربا يدعوهم إلى النجدة ووقْفِ زحف الأتراك المسلمين فكانت دعوة البابا (أربان) إلى تكوين جيش منظم، ودعا المبشرون من أمثال (بطرس الناسك) إلى جيش شعبي فسمحوا لكل من يحمل الصليب بالتوجه إلى الأراضي المقدسة.

فهل حقًا كان بطرس الناسك يريد تخليص قبر السيد المسيح من يد المسلمين تدينًا وحماية للحجيج؟

تقول الأميرة آن كومنين ابنة الإمبراطور البيزنطي:

«.. وبعد أن قام بطرس الناسك بتبليغ رسالته عبر سهول (لمبارديا) قبل أي شخص آخر، واشترك معه ثمانون ألف مقاتل من المشاة ومائة ألف من الفرسان، ووصل الناسك العاصمة عن طريق بلاد المجر، ويتميز الجيش الفرنجي بطبعه الحاد فضلاً عن تهوره واندفاعه الشديدين، وعندما يتعصب لقضية أو فكرة ما سرعان ما يفقد سيطرته على نفسه، ولذلك رفض بطرس الناسك نصيحة الإمبراطور (كومنين) وهي أن ينتظر بالقسطنطينية ريثما يأتي باقي النبلاء، ولكن بطرس لم يستمع إليه وعبر المضيق (البسفور) وتبعه (النورمان) البالغ عددهم عشرة آلاف.. وأعملوا التخريب في المدن المحيطة بمدينة (نيقية)، وكان مسلكهم ينم عن وحشية فاقت كل وصف إذ قطعوا أطراف الأطفال، وثبتوا البعض الآخر على ألواح خشبية وقاموا بِشَيِّهِمْ على النار، وأنزلوا شتى صنوف العذاب بالمتقدمين في السن..».

وتقول الأميرة عن بطرس الناسك: «.. ذلك اللاتيني الخبيث المتغطرس لم يعترف أنه السبب فيما حدث..»[1]..!

(١) راجع كتاب العرب والروم واللاتين، دكتور جوزيف نسيم، ص٣١٢/ ٣١٧.

الحملة الصليبية الأولى المنظمة

أخـذ الإقطـاعيون النورمـان والفرنسـيون والألمـان في الزحـف علـى الشرق الإسلامي في ثلاث فرق صليبية:

وكان أول جيش هو جيش (جودفري ده يويون) ومعه أخوه (بلـدوين) وهمـا مـن كبـار رجـال الإقطـاع في الامبراطوريـة الرومانيـة الألمانيـة وتقـع دوقيته على ضفة نهر (الـراين) وقامت هـذه الحملـة تقريبًا في ١٥ أغسـطس ١٠٩٦م ومـرت بأراضـي المجـر ووصـلت إلـى ديـار الدولـة البيزنطيـة في ديسـمبر ١٠٩٦، فـأطلقوا العنـان لأنفسـهم في أعمـال العنـف والنهـب والسلب.

وكان الجيش الثاني: جيش بوهيمند النورمانـدي بـن روبـرت جويسـكار وكانت معه أخته (إما) EMMA وابنها (تنكريد) الذي ورث صفات خاله.

وقامـت الحملـة مـن مدينـة (بـاري) في نـوفمبر ١٠٩٦م وفعلـوا بأهـل بيزنطة مثلما فعل السـابقون ووصـلوا إلـى مشـارف عاصـمة بيزنطـة في إبريـل ١٠٩٧م.

وكان الجيش الثالث: هو الجيش الصليبي الرسمي الذي عيَّن فيـه البابـا (اربان) نائبًا عنه وهو (ادهيمـر) المنـدوب البـابوي والقائـد الروحـي للحملـة الصـليبية، وكـان (ريمونـد) أميـر (تولـوز) قائـد هـذه الحملـة قـد وصـل إلـى القسطنطينية في إبريل ١٠٩٧م.

وتجمعت أوربا المسيحية الكاثوليكية في عاصمة المسيحية الأرثوذكسية وعقدوا مع الإمبراطور البيزنطي (الكسيس كومنين) اتفاقًا نصوا فيه على:

أ- أن يتعهد الصليبيون بإعادة الأراضي والأقاليم التي كانت تابعة للإمبراطورية البيزنطية بعد تخليصها من قبضة السلاجقة وأن يُقْسِمُوا يمين التبعية والإخلاص والولاء للإمبراطور وأن يصبحوا له جندًا مرتزقة في خدمته.

ب- في مقابل تعهد الإمبراطور (الكسيس) بمساعدة الصليبيين والمحافظة على سلامتهم وتسهيل التموين لهم ووضع فرقة من جيش بيزنطة تحت تصرف زعماء الإفرنج عند ابتداء الحملة، وأن يكون الإمبراطور على رأس الحملة عند التوجه إلى بيت المقدس، وأن يسلم ابنه وصهره كرهائن على احترام تنفيذ المعاهدة.

وكان ذلك الاتفاق عقب وصول (بوهيمند) مباشرة في مايو ١٠٩٧م.

***

أين المسلمون .. والقدس في خطر؟!

وتقدم التحالف الأرثوذكسي الغربي البيزنطي والكاثوليكي الأوربي نحو المشرق العربي والإسلامي إبان موت الملك شاه ١٠٩٢م آخر سلاطين السلاجقة الأقوياء فتفسخت بلاد الشام، وانتهزها الفاطميون فرصة حيث العراك الدائر بين أمراء الشام والزحف الصليبي المتحالف فضموا بيت المقدس عام ١٠٩٨م، وفي هذه اللحظة كانت الحملة الصليبية الأولى المنظمة المتحالفة تعبر في مايو سنة ١٠٩٧م مضيق البسفور، وسقطت نيقية ثم أنطاكية ثم طرسوس ثم قيصرية، ثم توجهوا إلى بيت المقدس في ١٥ يونيو ١٠٩٩م وشهد التاريخ ببسالة المسلمين المحاصَرين، حتى تبين أن الزمن في صالحهم كما يقول: (ستفن رنسيمان) إذ توافرت لدى (افتخار الدولة) المؤن والماء وفاقت أسلحته أسلحة الفرنج، واستطاع أن يدعم أبراجه بحيث استطاعت أن تصمد لقذائف المنجنيق.

ولو استيقظ العرب ساعتها وقام جيش مسلم خلف جيوش الصليب لوقع الأوربيون بين فكي الرحا، ولكن (افتخار الدولة) واجه الأمر وحده واتخذ كل التدابير الناجعة، أضف إلى ذلك أن حر يونيو وقسوة المناخ زادا من قلق الصليبيين حتى تبين لهم العجز عن الصمود وهم الذين يُحَاصِرُون المسلمين.

ولولا خيانة راهب في جبل صهيون دلهم على نقاط ضعف في الأسوار لما شنوا ذلك الهجوم الذي فشل أيضًا مما جعلهم يشعرون بالخيبة كما يقول (ستيفن رنسيمان).

واستمر الحال هكذا حتى يوم ١٥ يوليو ١٠٩٩م[١] وكانت المعركة الفاصلة وكانت المذبحة التاريخية التي يندى لها جبين كل مسيحي في الشرق وفي الغرب على السواء.

يقول (ستيفن رنسيمان): على أنه لم ينج من المسلمين إلا فئة قليلة، إذ إن الصليبيين انطلقوا في الشوارع والدور والمساجد يقتلون من يصادفهم من الرجال والنساء والأطفال دون تمييز، وقد استمرت المذبحة طوال مساء ذلك اليوم وطوال الليل، وفي الصباح الباكر من اليوم التالي اقتحم باب المسجد قلة من الصليبيين فأجهزت على جميع اللاجئين، وحينما توجه (ريموند) في الضحى لزيارة ساحة المعبد أخذ يتلمس طريقًا بين الجثث والدماء التي بلغت ركبتيه[٢].

فهل بطرس الناسك وأمراء أوروبا جاءوا للسلام وحماية قبر المسيح؟ وأين كان اليهود في ذلك اليوم؟ ألم يدَّعوا أنهم أبناء الله وأحباؤه وأن

(١) يوافق هذا التاريخ يوم الجمعة ٢٣ شعبان سنة ٤٩٢هـ.
(٢) تاريخ الحروب الصليبية ج١ ص٤٠١/ ٤٠٥ ستيفن رنسيمان، راجع كذلك الحروب الصليبية أرنست باكر ص٢٥/ ٢٦، النجوم الزاهرة ج٥ ص١٤٦- وما بعدها.

لسليمان هيكلاً، وحائطًا للمبكى؟ فلِمَ لَمْ يدافعوا عن هذه المقدسات الموهومة؟ لِمَ لمْ يدافعوا عن أرض الميعاد؟

يقول (ستيفن رنسيمان): فرَّ اليهود جميعًا من بيت المقدس إلى معبدهم الكبير غير أنه تقرر القبض عليهم، وأشعلوا النار فيهم وفي معبدهم ولقى اليهود بداخله مصرعهم محترقين[1].

***

(١) تاريخ الحروب الصليبية ج١ ص٤٠١/ ٤٠٥ ستيفن رنسيمان، راجع كذلك الحروب الصليبية أرنست باكر ص٢٥/ ٢٦، النجوم الزاهرة ج٥ ص١٤٦- وما بعدها.

وبعــــد:

فهل سيبقى المسلمون منقسمين ويضيع القدس الشريف؟ لقد كانت الأمة العربية الإسلامية في حاجة إلى أمرين:

أ- أستاذ يوقظ حماسها ويوعي عقلها ويثير همتها.

ب- قائد يوحد صفوفها ويلغي تفرقها وينْظمها من الشمال إلى الجنوب في عقد سياسي وعسكري تحت علم واحد خفاق بكلمة التوحيد.

وحول هذين العاملين الخطيرين في درء الخطر الصليبي عن بيت المقدس وتحرير الأراضي العربية الإسلامية من جحافل الصليبيين يقول الدكتور جوزيف نسيم أستاذ التاريخ بجامعة الإسكندرية:

أ- قام الجامع الأزهر بدور رئيس في تنبيه الأذهان إلى الخطر الجاثم على أرض فلسطين، فخطب العلماء وبعثوا برسائل إلى الحكام مؤيدة بآيات من القرآن الكريم تهدد العدو وتنذر بسوء خاتمته، وآيات تستنهض في العرب عزائمهم ليحملوا أعباء الجهاد.

وكذلك وضعت خلال الحروب الصليبية المؤلفات العديدة في فضائل الشام، والقدس، وبيت المقدس، وأدب الجهاد، والحث على قتال أعداء الله، ومن هذه الكتب المحفوظة في دار الكتب المصرية:

فضائل بيت المقدس: أبو المعالي المشرف بن المرجي بن إبراهيم المقدسي.

فضائل بيت المقدس: أبو بكر محمد بن أحمد الواسطي المقدسي.

باعث النفوس إلى زيارة بيت المقدس الشريف المحروس: برهان الدين إبراهيم بن إسحاق بن تاج الدين، المتوفى سنة ٧٤٩هـ.

إتحاف الأخصا في فضائل المسجد الأقصى: محمد بن أحمد المنهاجي السيوطي ٨٨٠هـ.

تحصيل الأنس لزائر القدس: عبد الله بن هشام المتوفى سنة ٧٦١هـ[1].

ويقول أيضًا:

مما سبق نستخلص عدة حقائق هامة تتعلق بدور الشعب العربي في صد المستعمرين الأوروبيين أيام الحروب الصليبية:

وأولها: أن مصر كانت خلال الكفاح الدامي المرير عبر القرون المتعاقبة قَلْبَ العروبة النابض بالحياة ومعقلها المنيع، ومركز إمدادها بالرجال والمال والميرة والسلاح.

ومنها كانت تنبعث دائمًا صيحة الجهاد الحقة ضد الغزاة الصليبيين، وكم شهد الجامع الأزهر من خطب كانت تلقى من فوق منبره أمام الآلاف من أبناء الشعب العربي الذين قامت على أكتافهم مهمة الحفاظ على أرض العروبة من أطماع الطامعين[2].

(١) العرب والروم واللاتين دكتور جوزيف نسيم يوسف ص٩٤/ ٩٧.
(٢) العرب والروم واللاتين ص٢٧٩.

وإذن فكل تقوية للأزهر هي في الواقع علامة صدق على نزاهة المعركة وقادتها إن في مصر أو في غيرها من بلدان العالم الإسلامي.

ب- ويقول عن العامل الثاني:

بوسع العرب في مصر والشام وشمال العراق إذا اتحدت جهودهم واتفقت كلمتهم وتكتلت قواهم في صدق وإخلاص أن يدفعوا عنهم الخطر الصليبي، وليس أدل على ذلك من أن الفتوحات العربية شرقًا وغربًا في القرن السابع ما كانت لتتم لولا اتحاد العرب واتفاق كلمتهم على صعيد واحد، في وقت نزل فيه القرآن الكريم على رسول الله ﷺ يدعو فيه العرب جميعًا إلى الاتحاد والتآلف والمحبة ونبذ الفرقة والخلاف، وقد أكدت الانتصارات العربية الحاسمة في القرنين الثامن والتاسع أنه بوسع العرب إذا اتحدوا أن يأتوا بالمعجزات[1].

ولهذا كان صلاح الدين الأيوبي ومن قبله عماد الدين زنكي، ونور الدين محمود يعملون من أجل تكتيل الصفوف وتوحيد الجبهات من أقصى الشمال إلى أقصى الجنوب، يعني من العراق إلى مصر ومن الفرات إلى النيل دولة واحدة ذات كلمة مسموعة وجيش موحد وإدارة واحدة.

***

(١) العرب والروم واللاتين ص٢٦٨/ ٢٦٩.

عــودة القــدس

وبعـد أن اطمـأن صـلاح الـدين الأيـوبي إلـى سـلامة الكيـان العربـي الواحد، قام بجهاده المعروف ضد الفرنج الذي انتهى بهزيمتهم شر هزيمة في موقعة (حطين) في أكتوبر سنة ١١٨٧م الموافق يوم السبت رابع عشر ربيع الأول سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة (٥٨٣هـ)[1].

يقول ستيفن رنسيمان:

وفي (حطين) حلت الهزيمة الساحقة بجيش المملكة اللاتينية بأسره والبالغ عدده نحو ٢٠ ألفًا، دفعتهم حماقتهم إلى المسير على سهل رملي تلفحهم حرارة شهر يوليو الشديدة، ولم تلبث أن أذعنت بيت المقدس بعد حصار لم يستمر أكثر من أسبوعين ٢ أكتوبر سنة ١١٨٧، ولم تنته ١١٨٩م حتى لم يبق للاتين في مملكة بيت المقدس سوى صور، ولم يكن للصليبيين في الشمال سوى أنطاكية وطرابلس، وبذلك ارتدت عقارب الساعة إلى الوراء وعادت الأمور من جديد إلى ما كانت عليه قبل الحملة الصليبية الأولى، ولابد للغرب أن يتجهز من جديد لحرب صليبية جديدة مرة أخرى لاستعادة بيت المقدس، غير أنه لابد وأن يُواجِهَ العالم الإسلامي

(١) النجوم الزاهرة ج٦ ص٣١.

مُتَّحِدًا لأنه لم يواجهه عام ١٠٩٩م إلا وقد نخر فيه سوس المنازعات السياسية والدينية[١].

ومن محاسن الصدف وروائع الأحداث الدالة على الإخلاص في النية وحسن القصد وحسن القبول معًا أن الله ﷻ جعل عودة القدس على يد صلاح الدين يوم الجمعة السابع والعشرين من شهر رجب من عام ٥٨٣هـ.

يقول ابن تغرى بردي: وسلموا المدينة في يوم الجمعة السابع والعشرين من رجب، وليلته كانت ليلة المعراج المنصوص عليها في القرآن الكريم، فانظروا إلى هذا الاتفاق العظيم، كيف يسر الله ـ تعالى ـ عودة القدس إلى المسلمين في مثل زمان الإسراء بنبيهم ﷺ[٢].

***

(١) تاريخ الحروب الصليبية ج١ ص٨٢/ ٨٣.
(٢) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ج٦ ص٣٦.

وهنا سؤال يطرح نفسه:

هل ستعود لنا القدس كما عادت إلى صلاح الدين؟

وايم الله لتعودن القدس

في السنة الخامسة عشرة من الهجرة ٦٣٢م فتح الله على المسلمين بيت المقدس، وظل القدس تحت راية الإسلام حتى كانت الهجمة الصليبية التبشيرية، وأُخِذَ المسجد الأقصى من المسلمين يوم الجمعة ٢٣ شعبان عام ٤٩٢هـ الموافق ١٥ يوليو عام ١٠٩٩م وظل المسجد الأقصى حزينًا على الدماء التي أُريقت من حواليه زهاء تسعين عامًا ثم عاد.

فقد أعاده الله للمسلمين بفضل جهاد صلاح الدين الأيوبي في ٢٧ رجب عام ٥٨٣هـ الموافق أكتوبر ١١٨٧م:

٤٩٢هـ - ٥٨٣هـ[١]/ ١٠٩٩م- ١١٨٧م فترة اغتصاب الصليبيين للمسجد الأقصى وعودة المسجد الأقصى من جديد.

ولما استسلبه المبشرون الصليبيون دخلوه والدماء إلى منتصف أطوالهم ولما استرده المسلمون نفذوا رحمة الإسلام، فأمر صلاح الدين بإيصال من قاوم القتال بقطيعته من الفرنج إلى مأمنه، ولم يسفك الدماء المعتدية المحتلة المغتصبة الضالة كما فعلوا وهم المعتدون.

(١) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ج٦ ص٣٧.

والآن وحال العرب والمسلمين مثل حالهم إبان القرن العاشر الميلادي والخامس الهجري وما بعده من حيث الضعف، والعجز، والخلاف، والاختلاف، والحروب، والتدابر، والتقاطع مما سبَّب سقوط القدس من جديد في ٥ يونيو عام ١٩٦٧م ولم تفلح مع اليهود طريقة لا بالحرب ولا بالسلم فهم لا يرغبون في السلام مطلقًا؛ لأنه مبدأ يتناقض مع فكرة دولة عرقية عنصرية تقوم حياتها على استمرار إثارة الصراع مع الجيران، كما ذهب إلى ذلك (نيلز جونسون) في كتابه: (قضية حدود إسرائيل الآمنة وتناقضات الدول الاستيطانية) فهل يا ترى سيظل القدس الإسلامي أسيرًا عند من ليسوا له أهلًا[1].

إننا لا نجيب هنا من منطق عاطفي، ولا منطق محلل سياسي أو مؤرخ فيلسوف يتكهن بما تخفيه الأيام والعصور، ولكننا نصدر عن يقين ثابت من منطلق النصوص الإسلامية التي قيلت في ساعات العسرة وتحققت على مدى العصور، فيروي تاريخ الدعوة أن النبي ﷺ في غزوة الخندق ساعة أن كان سيدنا سلمان الفارسي يحفر في الخندق واجهته كدية اشتدت عليه فأخذ ﷺ المعول من سلمان الفارسي رضي الله عنه وقال: بسم الله وضرب ضربة فكسر ثلثها وبرقت برقة فخرج نور من قِبل اليمن كالمصباح في جوف ليل مظلم فَكَبَّرَ رسول الله ﷺ وقال: أُعْطِيْتُ مفاتيح اليمن، إني لأبصر أبواب

(١) راجع مجلة عالم الفكر، العدد الأول من المجلد ١٤ إبريل سنة ١٩٨٣ ص٩٣.

صنعاء من مكاني الساعة كأنها أنياب الكلاب، ثم ضرب الثانية فقطع ثلثًا آخر فخرج نور من قِبل الروم فَكَبَّرَ رسول الله ﷺ وقال: أُعْطِيْتُ مفاتيح الشام، والله إني لأبصر قصورها، ثم ضرب الثالثة فقطع بقية الحجر وبرق برقة فَكَبَّرَ وقال: أُعْطِيْتُ مفاتيح فارس، والله إني لأبصر قصور الحيرة ومدائن كسرى كأنها أنياب الكلاب في مكاني هذا.

وجعل رسول الله ﷺ يصف مدائن كسرى لسلمان فيقول سلمان: صدقت يا رسول الله، هذه صفتها، أشهد أنك رسول الله، ثم قال رسول الله ﷺ: هذه فتوح يفتحها الله بعدي يا سلمان(١).

ومحل الشاهد أن رسول الله ﷺ في لحظة الضيق والكرب يؤكد للمسلمين رؤية آفاق الفتح الإسلامي من بعده، ويصفها لمن يعرفها ويصدقه سلمان الفارسي رضي الله عنه، ثم يحدثنا التاريخ عن فتوح الشام واليمن وحمص وبصرى... الخ.

فأية قوة لسيدنا محمد بن عبد الله ﷺ ليلقي بكلمات تعنو لها جباه الزمن، ويأتمر بها مِنْ بعده جيوش وقادة، لو لا أنها كلمة حق من فم لا ينطق عن الهوى فإنه وحي يوحى.

وتنضم إلى شهادة سيدنا سلمان الفارسي شهادة عدي بن حاتم، فقد روى صاحب السيرة الحلبية حديثًا يتعلق بما دار بين سيدنا رسول الله ﷺ وبين عدي بن حاتم، قال:

---

(١) راجع السيرة الحلبية ج٢ ص٣١٣/ ٣١٤.

- لعلك يا عدي إنما يمنعك من الدخول في هذا الدين ما ترى، تقول: إنما اتبعه ضعفة الناس ومن لا قوة لهم، وقد رمتهم العرب مع حاجتهم، فوالله ليوشكن المال أن يفيض فيهم حتى لا يوجد من يأخذه.
- ولعلك إنما يمنعك من الدخول فيه ما ترى من كثرة عدوهم وقلة عددهم أتعرف الحيرة؟ قلت: لم أرها وقد سمعت بها، قال: فوالله ليتمن الله هذا الأمر حتى تخرج الظعينة من الحيرة تطوف بالبيت من غير جوار أحد.
- ولعلك إنما يمنعك من الدخول فيه أنك ترى أن الملك والسلطان في غيرهم وايم الله ليوشكن أن تسمع بالقصور البيض من أرض بابل قد فتحت عليهم.

قال عدي: وقد رأيت المرأة تخرج من القادسية على بعيرها حتى تحج البيت، وايم الله لتكونن الثانية[1].

إذن وايم الله لتعودن القدس، فقد قال ﷺ:

- «تقتتلون أنتم ويهود حتى يقول الحجر: يا مسلم هذا يهودي ورائي فاقتله». (رواه مسلم)

---

(١) السيرة الحلبية ج٣ ص٢٢٢ راجع كتابنا الدعوة الإسلامية في عهدها المدني ص٤٨٠.

- «لتقاتلن اليهود فلتقتلنهم حتى يقول الحجر يا مسلم هذا يهودي فتعال فاقتله» (رواه مسلم).
- «تقاتلكم اليهود فتسلطون عليهم حتى يقول الحجر يا مسلم هذا يهودي ورائي فاقتله». (رواه مسلم)
- «لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون حتى يختبئ اليهودي وراء الحجر والشجر فيقول الحجر أو الشجر يا مسلم يا عبد الله هذا يهودي خلفي فتعال فاقتله إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود». (رواه مسلم)[1].
- «فسطاط المسلمين يوم الملحمة الكبرى بأرض يقال لها الغوطة فيها مدينة يقال لها دمشق خير منازل المسلمين يومئذ». (رواه أحمد)

والأحاديث فيها عدة حقائق:

- فيها استمرار القتال بين المسلمين واليهود فهي معارك دائرة لا تنقطع حتى يأتي نصر الله لمن اصطفاهم لهذا الشرف الجليل.
- وأنهم سوف يبدأون معركة فيسلط الله المسلمين عليهم فتسخر كل أدوات القتال لنصرة المسلمين.
- وأن ذلك يقع قبل أن تقوم الساعة.
- وأن أرض الملحمة الكبرى في أرض يقال لها الغوطة.

(١) هذه الأحاديث أخرجها مسلم في صحيحه، كتاب الفتن، ج٨ ص١٨٨ طبع بيروت.

وكما صدق رسول الله ﷺ في كل ما قاله وبلغه عن ربه وفتح الله على المسلمين كل بلد ذكرها لهم رسول الله ﷺ من المدائن إلى القسطنطينية، فإن القدس وايم الله لعائد يوم يبعث الله عبادًا له يجوسون خلال الديار وكان وعد الله مفعولًا.

❋ ❋ ❋

أما: من سيعيد القدس؟

فإنهم رجال لهم من السمات والأخلاق مثل ما كان لفاتح القدس ومحررها أبي عبيدة عامر بن الجراح أمين الأمة، والناصر صلاح الدين الأيوبي من الذين أنعم الله عليهم بإخلاص النية وصدق العمل ومراقبة الله في السر والعلن.

وأما: متى؟

فيوم أن يتمنى القادة العرب والمسلمون أن يجتمعوا في صلاة جامعة بالمسجد الأقصى مثلما تمنى الفيصل بن عبد العزيز فإن ذلك هو أول خطوة صادقة على الطريق إلى القدس الشريف، وفي كل الأحوال فإن الله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

هذا وبالله التوفيق



معـاهــدات

أهل إيلياء

صالح عمر أهل إيلياء (القدس) بالجابية وكتب لهم فيها الصلح لكل كورة كتابًا واحدًا ما خلا أهل إيلياء:

بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان، أعطاهم أمانًا لأنفسهم وأموالهم، ولكنائسهم وصلبانهم، وسقيمهم وبريئهم، وسائر ملتهم، أنه لا تُسكن كنائسهم ولا تُهدم، ولا ينتقص منها ولا من حيزها، ولا من صليبهم ولا من شيء من أموالهم ولا يُكرهون على دينهم، ولا يُضار أحد منهم، ولا يَسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود، وعلى أهل إيلياء أن يعطوا الجزية كما يعطي أهل المدائن، وعليهم أن يُخرجوا منها الروم واللصوت (اللصوص)، فمن خرج منهم فإنه آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم، ومن أقام منهم فهو آمن وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية، ومن أحب من أهل إيلياء أن يسير بنفسه وماله مع الروم ويخلي بيعهم وصلبهم فإنهم آمنون على أنفسهم وعلى بيعهم وصلبهم حتى يبلغوا مأمنهم، ومن كان بها من أهل الأرض قبل مقتل فلان فمن شاء منهم قعد وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية، ومن شاء سار مع الروم، ومن شاء رجع إلى أهله، فإنه لا يؤخذ منهم شيء حتى يُحصد

حصادهم، وعلى ما في هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين إذا أعطوا الذي عليهم من الجزية.

شهد على ذلك خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وعبد الرحمن بن عوف ومعاوية بن أبي سفيان وكتب وحضر سنة خمس عشرة[١].

أهل لدّ

فأما سائر كتبهم فعلى كتاب لد.

بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل لُدٍ ومن دخل معهم من أهل فلسطين أجمعين، أعطاهم أمانًا لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم وصلبهم وسقيمهم وبريئهم وسائر ملتهم، أنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينتقص منها ولا من حيزها ولا مللها، ولا من صليبهم ولا من أموالهم ولا يكرهون على دينهم ولا يضار أحد منهم، وعلى أهل لدٍ ومن دخل معهم من أهل فلسطين أن يعطوا الجزية كما يعطي أهل مدائن الشام وعليهم إن خرجوا مثل ذلك الشرط.. الخ[٢].

(١) الطبري ١٥٩.
(٢) الطبري ١٦٠.

المراجـــع

۞ القرآن الكريم

۞ صحيح البخاري ومسلم

۞ التفسير الكبير ـ للفخر الرازي

۞ تفسير القرآن العظيم ـ لابن كثير

۞ تفسير البحر المحيط ـ لابن حيان

۞ تفسير روح المعاني ـ للآلوسي

۞ الجامع لأحكام القرآن ـ للقرطبي

۞ تفسير الطبري ـ لأبي جعفر الطبري

۞ الدر المنثور ـ للسيوطي

۞ تاريخ الطبري

۞ السيرة الحلبية

۞ إمتاع الأسماع ـ للقزويني

۞ النجوم الزاهرة ـ جمال الدين بن تغرى بردي

۞ البداية والنهاية ـ لابن كثير

۞ تاريخ الحروب الصليبية ـ ستيفن رنسيمان، ترجمة د. السيد الباز العريني

۞ الحروب الصليبية ـ أرنست باركر، ترجمة/ د. السيد الباز العريني

۞ العرب والروم واللاتين في الحروب الصليبية الأولى، دكتور جوزيف نسيم يوسف.

۞ موجز تاريخ العالم، هـ. ولز، ترجمة عبد العزيز جاويد

۞ تاريخ مصر من أقدم العصور إلى الفتح الإسلامي، بريستد.

۞ المسيحية نشأتها وتطورها، شارل جنى بير.

۞ تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين، دكتور فليب حتى.

۞ بيت المقدس في ضوء الحق والتاريخ، دكتور عبد الفتاح أبو علية، دكتور عبد الحليم عويس

۞ الدعوة الإسلامية في عهدها المدني، دكتور رءوف شلبي.

۞ اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها، ادوارد جيبون، ترجمة د. محمد سليم سالم.

۞ مجلة عالم الفكر، المجلد الرابع عشر - العدد الأول، إبريل/ يونيو ١٩٨٣ - الكويت.

۞ إنجيل متى وتفسيره، طبع دار المعارف بمصر.

المحتويات